التّحولات السياسيّة في المغرب الإسلامي وعلاقتها بانتشار الغلوّ الفكري خلال القرنين الثَّاني والثالث الهجريين

Political Transformations in the Islamic Maghreb and their Relationship to the Spread of Intellectual Hyperbole During the second and third centuries Hijri

ناجي لخضر *

جامعة الجزائر1، الجزائر lakhdar_n@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2026/03/27 تاريخ القبول: 2026/05/31 تاريخ: النشر: 2026/06/30

الملخص:

تتمحور هذه الدراسة حول نشوء الغلو الفكري وفرقه في منطقة المغرب الاسلامي في القرنين الهجريين الأول والثاني من الفتح الاسلامي للمنطقة، وكان من بين أشهر هذه الفرق فرقتا الخوارج وغلاة الشيعة الاسماعيلية، اللّذان أحدثا بظهورهما هزات سياسية عنيفة في المنطقة جراء عدم الاستقرار السياسي والفشل في إدارة السلطة. فكان هدف هذه الدراسة معرفة أثر الفراغ السياسي في الحكم والاختلالات الكبيرة في تسيير شؤون الرعية وما ينجر عنها من تجاوزات للسلطة تساهم في انتاج الغلو والتطرف الفكري، ويجدر التنبيه على أنّ أهمية سدّ الفراغ والعجز السياسي يشكل أولوية ملحة باعتباره مجالا حيويا تنشأ فيه هذه الأفكار ويمثل حاضنة لها، وهذا من خلال تعيين أهل الكفاءة في الحكم وتسيير مصالح الرعية، تجنبا للظلم وعدم العدل، واعتمدنا في هذه الدراسة على منهج الاستقراء وأدوات البحث التاريخي في رصد هذه الظاهرة وتحليلها، والذي من خلاله توصلنا إلى أن الغلو الفكري منشؤه عدم الاستقرار السياسي وغياب العدل والكفاءة في تسيير أحوال الرعية.

الكلمات المفتاحية: المغرب الإسلامي؛ التحولات؛ الغلو الفكري؛ الفراغ السياسي؛ الخوارج.

* المؤلف المرسل

DOI: https://doi.org/10.55781/rsic.v11i2.632

Abstract:

This study focuses on the emergence of intellectual fanaticism and its sects in the Islamic Maghreb region in the first and second Hijri centuries of the Islamic conquest of the region. Among the most famous of these sects were the two sects of the Kharijites and the extremists of the Ismaili Shiites, who with their appearance caused violent political shocks in the region as a result of political instability and failure to manage power. The aim of this study was to know the impact of the political vacuum in governance and the major imbalances in the management of the affairs of the people and the resulting transgressions. Authority contributes to the production of extremism and intellectual extremism, It must be noted that the importance of filling the vacuum and political impotence constitutes an urgent priority as it is a vital field in which these ideas arise and incubate them, and this is through appointing competent people in governance and managing the interests of the subjects, in order to avoid injustice and unfairness. In this study, we relied on the method of induction and historical research tools in monitoring and analyzing this phenomenon, through which we concluded that intellectual fanaticism stems from political instability and the absence of justice and competence in managing the conditions of the subjects.

Keyword: Islamic Maghreb; Intellectual hyperbole; Political vacuum; al-Khawārij.

مقدمة:

شهد المغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط ظهور قوى سياسية عديدة تداولت على حكم المنطقة عبر مراحل مختلفة، ترتب عن هذا الأمر في الغالب حصول تحولات كبيرة وفترات من الفراغ السياسي للسلطة، نشأ من خلالها اختلال في موازين الحكم والسيطرة على رقعة جغرافية هائلة، مما هيأ الأمر لأن تكون أرضا خصبة لظهور الفرق والملل والمعتقدات بأشكالها المتعددة وخصوصا الوافدة من المشرق الاسلامي، والتي ما فتأت أن تهيكلت ونضجت نضجا كاملا لتستطيع أن تؤثر بكل بساطة على أيّ فئة أو مجتمع كان، وكانت من هذه التيارات والفرق الفكرية والعقدية المرتبطة

بالإسلام أو بغيره من الديانات الأخرى كغلاة الشّيعة الاسماعيلية والبجليّة، كما ظهرت شخصيات ادعت النبوّة وجاءت بتعاليم جديدة تناقض أصول الدين الاسلامي وتعاليمه، وظهرت فرق الخوارج من الصفرية، والاباضية، استطاعوا تأسيس دويلات أدّت أدوارا مهمة في تاريخ المنطقة، جعلها تتصادم في كثير من الأحيان مع القوى الأخرى التي تدين بغير عقائدها، وقد كانت تداعيات هذه الفرق والجماعات على المنطقة خطيرة جدا، ترتبت عنها نتائج وخيمة من سفك للدماء، وتغيير في معتقدات لدى السكان، من خلال المساس بمعتقداتهم وثوابتهم الدينية التي كانوا يدينون بها منذ اعتناقهم الإسلام.

ولعل أبرز إشكالية يمكن طرحها تكمن حول كيف كان لهذه التحولات السياسية وما نتج عنها من اضطرابات وفراغ سياسي في الحكم دورا وتأثيرا في ظهور هذه الجماعات والفرق، وتغلغلها داخل مجتمعات المغرب الاسلامي؟ وهل كانت لهذه الفرق التي تحمل الأفكار المغالية مرجعية سياسية لتستغل الظرف وتنشر دعوتها؟ وماهي أبرز هذه الفرق التي ظهرت في المنطقة؟.

الأهدف المرجوة من هذه الدراسة هو:

- الوعي بمدى خطورة الفراغ السياسي خصوصا ما تعلق باضطرابات نظام الحكم في نشوء وتكوين الفكر المغالي والمتطرف الذي يمكن أن يشكل خطرا على الدولة والمجتمع من خلال التشكيك في ثوابت الأمة ومحاولة هدم معتقدات الناس التي نشؤوا عليها.
- التنبيه على أن أي خلل في تسيير شؤون الرعية من خلال ممارسة سياسات تعسفية أو تضييق عليها قد يسمح بتهيئة المجتمع لتقبل أيّ أفكار معارضة للسلطة مهما كانت مرجعيتها الفكرية أو العقائدية، فإقامة العدل الاجتماعي، والكفاءة في تعيين ولاة الأمر والوقوف على خدمة شؤون الرعية، كفيل بإقامة حصانة فكرية من أي أفكار دخيلة على المجتمع.

أما **المنهج المتبع في هذه الدراسة** كان المنهج الاستقرائي الذي ينطلق من جزئيات ليصل إلى أحكام عامة، وكل هذا من خلال تتبع الأحداث التاريخية والشواهد التي تتطابق مع بعضها البعض في النتائج، معتمدين على أدوات البحث التاريخي من خلال الوصف والتحليل.

أما **الدراسات السابقة** فهي عديدة جدا في هذا المجال، وبشكل عام، خصوصا ما تعلق بدراسة المذاهب الفكرية والدينية التي ظهرت في بلاد المغرب الاسلامي، فقد سلطت هذه الدراسات الضوء على المذاهب المغالية وكيف أحدثت عديد التغييرات في شتى النواحي الاجتماعية والسياسية والدينية في تاريخنا الاسلامي، ولعل من بين أقرب الدراسات الحديثة التي أشارت إلى موضوعنا نجد دراسة بعنوان "تصدي مالكية المغرب الاسلامي لظاهرة الغلو في التكفير خلال العصر الوسيط" للاستاذ أمين كرطالي، حيث استعرض لكل المذاهب الفكرية المغالية في بلاد المغرب الاسلامي، وكيف تصدى المالكية لغلوها في تكفير الآخر، وبيّن أسباب انتشار هذه المذاهب في المنطقة ومنها سوء معاملة الحكام للرعية، فكانت هذه الإشارة بمثابة فجوة بحثية مهمة لموضوع بحثنا، الذي حاولنا منها الغوص في عديد الأسباب، وخصوصا السياسية التي أنتجت الغلو الفكري ومظاهره وتداعياته على المنطقة، ومن ثمّ الوصول إلى أهم وأبرز الأهداف المرجوة من هذه الدراسة.

1- علاقة السياسة بتيارات الغلو الفكري عبر التاريخ الاسلامي.

تعود أولى بواكير الغلو الفكري في تاريخنا الإسلامي إلى فرقة الخوارج التي ظهرت زمن خليفة المسلمين الإمام علي رضي الله عنه، بعدما كانوا جزء من جيشه ثم رفضوا تحكيمه لأنه قبل بالتحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في اللإقتتال الذي كان بينهما بعد موقعة صفين، مما أدى به إلى مقاتلتهم والقضاء عليهم في معركة النهروان الشهيرة، فلم ينج منهم إلا نفر قليل، تمكنوا بعد تشتتهم من نشر معالم الفكر الخارجي.

ولقد كان هؤلاء الخوارج متبنين أراء فكرية، ومرجعية عقائدية مبنية على العديد من المبادئ المغالية، يتم من خلالها التعامل مع عموم المسلمين، كتكفير مرتكب الكبيرة، والقول بأن كل مخالف لهم هو كافر، كما كفّروا عليا وعثمان وجمع من الصحابة[1] رضي الله عنهم، وكانوا يرون بالخروج على الحكام إذا رأوا منهم ظلما وجورا.

ولما كان لظهور الفكر الخارجي مرجعية سياسية محضة تدور حول الحكم والرعية، استطاع هذا الفكر أن ينتشر ويتغلل في أوساط المسلمين، وقد وصف بأنه" مذهب ثوري"[2]، قائم على التّحرر

وعلى طلب العدل والمساواة، فصار منطلقا للخروج على الحاكم تحت مسوغات وحجج عديدة، أشهرها رفع الظلم ودفع جور السلطان، في حين أن الشريعة الاسلامية قد جعلت ضوابط وشروط لهذا الأمر حماية للأمة من التّمزق وحقنا للدماء جراء ما ينجر عن هذا الأمر من منزلقات خطيرة تنتهي دائما بالحروب، ومن ثمّ صار فكر الخوارج جزء من مسلّمات الفرق والجماعات، ورافدا لها في كل أنحاء الدولة الاسلامية شرقا وغربا، وبدأت تأثيراته تنتشر في البلدان التي دخلها الاسلام حديثا، لتتبناه شعوب تلك المناطق سواء ما تعلق بالقيام بثورات تطالب بالعدل، أو مطالب أخرى قومية مناهضة لحكم جماعة ما.

ولم يكن المغرب الإسلامي في العصر الوسيط بمعزل عن التأثر بهذا الفكر، حيث تقول الروايات أن بدايات دخول هذا الفكر للمنطقة كان على الأصح مع نهايات القرن الأول للهجرة[3]، وكان ممن تقمص هذا الفكر فرقتا "الصفرية" و"الإباضية" اللتان كانتا لهما أصداء وأحداث في تلك الفترة، فقاموا بمعارك عديدة مع الأمويين والعباسيين والفاطميين، وحتى مع بعضهما البعض بسبب إختلاف الرؤى وتغير في بعض العقائد والأفكار، واستطاعوا أن يؤسسوا لهم دويلات وكيانات في المنطقة، فظهرت زعامات خارجية أحدثت قلاقل واضطرابات عنيفة داخل المنطقة، استولت بها على مراكز هامة في المغرب الاسلامي، فظهر ميسرة المطغري رأس الصفرية[4] على قول ابن عذارى صاحب البيان المغرب، كما يعتبر أحد تلاميذة عكرمة مولى بن عباس رضي الله عنه، والذي عرف عنه أنه صاحب الدعوة الصفرية في بلاد المغرب الاسلامي وكان لظهور ميسرة المطغري(سنة 122هـ) تأثير كبير على الوضع السياسي بالمغرب الاسلامي باعتباره متزعما لأهمّ ثورات فرقة الصفرية ضد الأمويين، حيث أحدث تغييرا كبيرا في المنطقة، مؤذنا بظهور ثورات خارجية عديدة، كثورة عكاشة الخارجي الصفري وعبد الواحد بن يزيد الهواري في ولاية حنظلة بن صفوان[5]، وغيرها من الثورات التي ذكرتها المصادر خصوصا ابن عذارى.

فاستولى عاصم بن جميل من الصفرية وهو من قبيلة ورفجومة على مدينة القيروان من سنة (139هـ إلى 141) في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي، وفي تلك الفترة نشأت دولة الخوارج الصفرية سنة 140هـ لتؤسس لأول دولة خارجية في المنطقة، ثم استولى على القيروان من بعده أبو الخطاب المعافري وكان من أتباع الاباضية و روّادها وهذا من سنة (141هـ إلى 144هـ)، ثمّ في

وقت آخر استولى على المدينة أيضا أبي حاتم الملزوزي المغيلي الإباضي من سنة (154هـ إلى 155هـ)، ليؤسس في نهاية المطاف عبد الرحمان بن رسم في تيهرت دولته الإباضية سنة (160هـ/ 777م).

وفي خضم هذه الأحداث بدأ تيار فكري ومذهبي آخر يحاول اجتياح المنطقة، وهو التيار الشيعي ممثلا في المذهب الإسماعيلي الباطني، وهو من أشدّ المذاهب الشيعية تطرفا وتشددا لمبادئها وفي نظرتها للمخالف، وقد كانت هذه الدعوة بالأساس ممهدة لقيام الخلافة الفاطمية في المغرب الاسلامي، فهي التي بذرت البذور الأولى للتشيع بالمغرب الإسلامي، واستمالت القلوب لدى قبائل البربر وخصوصا قبيلة كتامة وفروعها الذي ساندوا الدعوة الفاطمية[6]، وهذه الدعوة الشيعية هي بالأساس محاولة من دعاة الشيعة لإقامة خلافة إسلامية موازية للخلافة العباسية، فبعد فشلهم في دعوتهم باليمن والتي قادها ابن حوشب، نجحوا في منطقة المغرب الإسلامي بقيادة أبي عبد الله الشيعي، الذي استطاع تخليص أبو عبيد الله المهدي من السجن، ومن ثمَّ الثورة على الأغالبة وكل القوى السياسية التي كانت موجودة في المنطقة في تلك الفترة[7]، ليستتب لهم الأمر سنة (296هـ/ 908م) معلنين قيام الخلافة الفاطمية، مع العلم أنّ الأمر ما كان لينجح لولا توفر الشروط والأسباب التي مهدت لذلك، فقد كان الحلواني عبد الله بن علي وأبو سفيان الحسن بن القاسم من الذين مهدوا للأمر من خلال نشر تعاليم الفكر الشيعي و المذهب الاسماعيلي.

كما لايمكن أن نغفل عن مبادئ هذه التيارات الفكرية القائمة على استعطاف الناس تحت شعار "المظلومية" الذي كانت تمارسه السلطة السياسية في ذلك الوقت، فقد استغل دعاة الشيعة ممثلة في الداعية أبو عبد الله الشيعي من استمالة قبائل كتامة وقبائل أخرى من خلال التشهير والتذكير بتجاوزات الأمراء الأغالبة، كسياسية الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد الأغلبي الذي مارس الظلم على الرعية من خلال الضرائب القاسية والخراج على الأرض، والمذبحة الكبيرة التي قام بها هذا الأمير في منطقة "بلزمة" على عدد كبير من العرب، محدثا بذلك اضطرابا كبيرا في تلك المنطقة، إيذانا ببدء تمردات كبيرة داخل الدولة الإسلامية بالمنطقة، مع فقدان الولاء من قبل ولاته للدولة الأغلبية، كلها أسباب استغلها الدعاة الشيعة لتأليب الناس وحشدهم ضد الأغالبة، وكان لهم الأمر في الأخير بالقضاء على دولتهم[8].

والمعروف عن هذا المذهب كما قلنا سابقا الغلو في المبادئ والأفكار، وفي تعامله مع المخالف، مما جعل السلطة السياسية في الدولة الفاطمية تستعمله كأداة عنف لمواجهة المذاهب الإسلامية الأخرى، وخصوصا منها المذهب المالكي، وضد رجاله، والذين كانوا يعتبرون خطرا على استمرارية الدولة، باعتبار أن هذا المذهب يمثل المرجعية الدينية لساكنة المنطقة من زمن بعيد، فهو يمثل الهوية، والحصن في الدفاع عن المبادئ الاسلامية السنية البعيدة عن التعصب والتطرف والمغالاة في الفكر، فهو قادر على حشد الناس بسهولة ضد أي خطر يمكن أن يهدد وجوده وانتشاره في المنطقة.

ومن أجل مواجهة الفكرة بالفكرة والمذهب بالمذهب، حاول العبيديون نشر مذهبهم الاسماعيلي بالقوة والعنف، وقاموا من أجل ذلك بعمليات القتل والإكراه والسجن تحت طائلة التهديد، فعانى المالكية وغيرهم من عامة الناس من هذا الوضع أيّما معاناة، كونهم لم يعهدوا هذا الأمر من قبل، بالرغم من وجود الفكر الخارجي، الذي كانت لهم معه مواجهات عنيفة وحاسمة لكنهم استطاعوا التعايش مع بعضهم البعض.

2- عوامل انشار مذهب الخوارج والشيعة في بلاد المغرب الاسلامي.

المتتبع لبدايات ظهور هذه المذاهب في المنطقة يجد أنّ تاريخ وجودها كان خلال القرن الثاني للهجرة، وهي فترة كان أهل المغرب الاسلامي حديثي عهد بالإسلام، وبالنظام السياسي الذي لم يكونوا قد تعودوا عليه، وتعايشوا معه، ممثلا في الانظمة السياسية القائمة، التي فرضت على الساكنة أنظمة جديدة في التسيير، وفرضت عليهم حقوق يؤدونها للسلطة الحاكمة، لم يكونوا قد تعودوا عليها من قبل، ولم يألفوها من بعد، هذا ما جعل سكان المنطقة يتأثرون بكل التيارات الفكرية والعقدية الواردة عليهم من المشرق، مستغلين تعاليم هذه التيارات والتي كما قلنا أنها كانت تحمل في جوهرها مبادئ الثورة ضد ما كانوا يرونه ظلما وجورا، والذي كان مكرسا ومسلطا عليهم في بعض الأحيان من خلال سياسات الولاة الأمويين والعباسيين في المنطقة، من أمثال يزيد بن أبي مسلم[9]، مستغلين هذا الأمر للقيام بالثورات والحروب ضد هؤلاء الحكام.

كما أنَّ هذه السياسة التي كان يقوم بها هؤلاء العمال راجعة بالأساس إلى عدم الكفاءة في التسيير وقلة الخبرة، سواء من الخلفاء أو الولاة في معرفة المنطقة ونفسية السكان، والذين كانوا قد اندمجوا مع العرب المسلمين في مجتمع واحد تحكمه تعاليم ومبادئ الاسلام، فكانوا يرون أنهم جزء لا يتجزأ من هذا النظام الجديد، كونهم كانوا من العناصر التي شاركت في عملية الفتح ونشر الدين الاسلامي، فهم معنيون إذا بتقلد المناصب، والاستفادة من الغنائم، ولا تسري عليهم أحكام أهم الذمة، أو المعاهدين.

وهذا الأمر لم يحدث، فقد مورس على البربر التخميس والسبي وحتى الاستعباد[10]، وفي بعض الاحيان فرضت عليهم الجزية من طرف هؤلاء الولاة مثل ما قام به يزيد بن مسلم[11]، وبعده عامل طنجة عمر بن عبيد الله الذي ثار عليه ميسرة المطغري وقتله سنة (739م/122هـ)، ولم يجدوا الأمر الذي يقتضي معاملة النظير للنظير[12].

وسبب كل هذه الاضطرابات يعود بالأساس إلى الخلفاء الذين كانوا يعينون الولاة وللأسف الشديد عن طريق الولاء وفي بعض الأحيان بالأهواء، فيقيمون هذا ويعزلون الآخر، فقد عرف عن إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر السيرة الحسنة، وأسلم على يديه كثير من البربر زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز[13]، لكن بعد وفاة هذا الأخير تم عزله وتعيين يزيد بن أبي مسلم سيئ السيرة والذي ثارت عليه البلاد كما قلنا، فكانت هذه التعيينات العبثية بلاء كبير على المنطقة، كما أن سياسية الخلفاء التي كانت منتهجة في المنطقة كانت السبب في تعدي الولاة واستبداداهم، فقد كانوا يرون أن البلاد مصدر هام لخزينة الدولة من الأموال والذهب وحتى السبي من النساء والعبيد، وهذا ما أثبتته رسالة الخليفة العباسي جعفر المنصور والتي يهدد فيه واليه عبد الرحمان بن حبيب حينما أخبره هذا الاخير ان البلاد قد أصبحت إسلامية بالكامل، ولا يمكن ان يرسل له منها المال والسبي[14].

كما خلفت هذه التعينات والعزل الذي كان يتم للولاة من نشوب صراعات قبلية بن قبائل اليمينة والقيسية، برزت معالهما على جيش كلثوم بن عياض الذي كلف بمحاربة الخوارج الصفرية في بداية ثوراتهم، وهذا محاولة للقضاء عليهم في المهد، فلم يكن جيشا متجانسا ومنزويا

تحت قيادة واحدة، بل كان جيشا قبليا، وصل به الأمر إلى العصيان وحتى الاقتتال فيما بينهم[15] ما أدى إلى عواقب وخيمة على الدولة الاسلامية في المغرب الاسلامي حينذاك.

واستفاد أصحاب هذه المذاهب من طبيعة وعقلية إنسان المغرب الاسلامي في العصر الوسيط، ونظرته للنظام الإسلامي السياسي و علاقتها مع حكامه، والتي كانت في غالب الأمر يسودها عدم التوافق والتفاهم جراء معاملات كانت بين السلطة والرعية، وباعتبار أن الفكر القبلي، والعصبية كان لهما دورا في تسيير شؤون العامة، هذا ما أنتج إنسانا يغلب على سلوكه العنف والقسوة "وخفة في سفك الدماء"[16] ولا يقبل أيّ حكم أو انقياد إلاَّ لقبيله[17]، كونه كان يراه نظاما طارئا عليهم، إستبد بالسلطة والثروات، ومارس الظلم عليهم، فهذا الطبع الحاد الذي تميز به إنسان المنطقة "القومي"[18] شكَّل عاملا من عوامل قبول مذاهب الغلو الفكري، التي أفرزت بعد ذلك حركة التمردات، والثورات ضد الدويلات التي تعاقبت في المغرب الإسلامي، وصعبت على الأنظمة السابقة التعامل معها في إطار نظام شامل، خارج النظام القبلي، الذي كانت تحكمه العادات والتقاليد، وتنبذ أي نظاما آخر لا يساير نظامها ولا يتوافق مع ما ورثته من السابق.

ويضاف إلى هذا أن هذه المذاهب كانت دعوتها في ظاهرها مبنية على مبادئ الدين الاسلامي التي اعتنقها سكان المنطقة، ونظرا لحداثة عهد الناس بالإسلام فقد وجدت هذه الأفكار الطريق لقلوب الناس كي يلتفوا حولها ويعتنقوها، وهذا ما أثبته أحد خلفاء المذهب الشيعي وهو جعفر الصادق حينما خاطب ابن حوشب والحلواني حاثا إياهما بالذهاب إلى بلاد المغرب فقال: "بالمغرب أرض بور فاذهبا وأحرثا حتى يجيء صاحب البذر"[19] فكلمة بور لها معاني عديدة منها أن المنطقة مؤهلة تماما لاستقبال افكار المذهب ولم تتعرض من قبل لأفكار أخرى يمكن أن تتعارض مع دعوتهما، بسبب أنّ المنطقة لا زالت حديثة عهد بالإسلام، وحتى أن هناك بعضا من المناطق لم تعرف ولم تسمع من الإسلام سوى الإسم فقط، فهي مهيأة لإستقبال كل ما يتعلق بالإسلام دون تمحيص ولا تحقيق، وحصل ما كان حقا.

ونجد أيضا أن المنطقة لم تكن بعد قد تأثرت بالمذاهب السنية والتي من شأنها أن تملأ الفراغ المذهبي، والذي استطاعت الفرق الأخرى استغلال الأمر و تعويضه، فقد فشل الصفرية في نشر

مذهبهم في مناطق الإباضية بجبال نفوسة وليبيا، والعكس صحيح، كما فشل ابن حوشب داعية الشيعة الإسماعيلية في اليمن بسبب أن اليمنيين قد تأثروا من قبل بالمذهب الزيدي[20] ولم يتمذهبوا بأي مذهب دخيل عليهم وعلى المنطقة والمجتمع.

تداعيات انتشار الفكر الخارجي والشيعي على المنطقة.

أدى انتشار الفكر الخارجي والشيعي في المنطقة إلى حدوث ثورات عنيفة وهزات سياسية قوية مست نظام الحكم القائم في تلك الفترة، فقد شملت الثورات كامل المنطقة في فترة من الفترات مثل ثورة ميسرة المطغري، ما نتج عن ذلك خسار مادية وبشرية كبيرة في صفوف جميع الأطراف التي كانت متحاربة، كما نتج عن هذه الحروب إحياء روح القومية لدى السكان في مواجهة التبعية والولاء للحكم المركزي في المشرق، ومحاولين تجسيد الشخصية المغربية الاسلامية المستقلة تماما عن المشرق وذات السيادة الكاملة[21]، بالرغم من أنّ الدين الاسلامي ينبذ كل هذه الأفكار التي تحمل الفكر القومي المبني على التَّفاضل والنظرة الفوقية والتمييزية لأي جنس بشري كان.

كما أنتج لنا هذا الفكر الخارجي تطرفا فكريا وأفعالا عنيفة نتجت عن الممارسات المتمثلة في القتل، والتخريب، والتهديم، الذي طال السكان وممتلكاتهم، مثل ما قام به عاصم بن جميل وعبد الملك بن ابي الجعد في القيروان وباقي المناطق[22].

وقد كانت هذه الحروب سببا في كبح مسيرة انتشار الاسلام بالمنطقة مؤقتا، بعدما كان أولوية من اولويات الخلفاء والولاة، هذا ما جعل الجو يخلوا لمدّعي النبوّة وحركات الردة وديانات أخرى بالظهور على الساحة، وخلق مناطق أخرى لا تعرف ولا تسمع عن الإسلام إلا الإسم، فقد كان عاصم بن جميل الصفري على حسب الروايات التاريخية قد تنبأ وادّعى الكهانة، مثله مثل صالح بن طريف الذي أقام دولة في تامسنا سميت باسمه، وكان صالح وأبوه طريف حسب الروايات يقاتل إلى جنب ميسرة المطغري في حروبه وقائدا في جيشه[23]، لكنه اعتزل المذهب الصفري وأنشأ هو وقبيلته برغواطة دويلتهم، وكان قد ادعى النبوة وجاء بتعاليم جديدة، حتى وصف هو وقومه بمجوس برغواطة[24]، واتهموا بأنهم على دين اليهودية[25].

ونجد أيضا قبائل **غمارة** الزّناتية التي كانت على ديانة أحد مدّعي النبوّة والكهّان يدعى "**حميم بن منّ الله**" الذي ابتدع منكرات وأفعال تنافي مبادئ الإسلام، "فتبعه نفر كبير من **غمارة**"[26]، كما كان نفس الحال مع مجموعة من قبائل المغرب **كدكالة** و**لمتونه** حيث اعتبرت قبائلا قد ارتدَّت عن الدين الاسلامي.

أمّا القبائل التي لم تدخل في الإسلام على الإجمال نجد مثلا قبيلة "**آدرار**"[27] البربرية التي كانت في "جبل مجاور لديار لمتونه"[28]، ونجد هناك قبائل لها معتقدات وأفكار وثنيّة مثل القبيلة التي كانت تعبد الكبش في أحد الجبال المحاذية لمدينة تازرارت[29].

أما الشيعة البجليين[30] فقد كانوا يتواجدون في مدينة ماسة وهم من قبيلة **بني لماس**، وجدير بالذكر أنَّ الصراع السُّنِّيّ الشّيعيّ يعود إلى أيام الدَّولة العُبيديّة التي مارست أنواع القتل والاضطهاد كما سبق ذكره على العلماء الإباضية والحنفية وخصوصا المالكية[31] الذين رفض غالبيتهم الرضوخ لإغراءات العبيدين من أجل التَّخلّي عن المذهب المالكي واعتناق المذهب الإسماعيلي. عكس أقرانهم من المذاهب الأخرى كالحنفيّة الذين استسلمُوا في الأخير لرغبة وإرادة العبيدين "فتشرقوا بالقوة والترهيب وأحيانا بالإغراء"[32].

الخاتمة :

1- لقد كان المذهب الخارجي والشيعي وما حواه من غلو فكري، وبالا على الدولة المركزية في منطقة المغرب الاسلامي خلال بدايات انتشار الإسلام في قرنه الأول والثاني هجري، مساهما في إحداث قطيعة بين الرعية وبين الحكام وتأليبهم على بعضهم البعض[33]، ومؤذنا باضطرابات سياسية و اجتماعية كبيرة، خلفت خسائر مادية وبشرية كبيرة، مست الانسان والعمران، وكسرت الولاء السياسي للخلافة المركزية في المشرق، كما نشأ عن هذه المذاهب قيام دويلات كانت بمثابة الضربة القاضية للحكم المركزي في المنطقة.

2- كما أحدث هزات اجتماعية كبيرة بين تركيبة المجتمع في المنطقة بسبب حركة النزوح و الهجرة نتيجة الحروب والمعارك، محدثا تشكيكا وهزات في عقيدة المجتمع التي ورثتها

عن الفاتحين الأوائل، جراء المبادئ والعقائد التي حملتها هذه المذاهب، وأرادت نشرها بين السكان، مما أثر على وتيرة انتشار الاسلام في المنطقة، مساهمة في انتشار حركات وفرق أكثر مغالات من المذاهب الأولى جاءت بمعتقدات وأصول خارجة تماما عن صميم الدين الاسلامي.

ولعل من بين أبرز النتائج التي يمكن أن نصل إليها هو :

- أن بناء أي دولة متماسكة وقوية لابد أن ينطق من مرتكزات وأسس متينة، قائم بالأساس على نظام سياسي صلب، لا يتأثر بنزوات الأفراد ورغباتهم، بل يعتمد كل الاعتماد على إقامة العدل والمساواة بين الرعية، هذه الأخيرة هي أساس كل دولة وكل سلطة، فالأمن الفكري والسياسي مرهون بالوضعية الاجتماعية للرعية، وأي ممارسة غير عادلة أو تضييق عليها يجعلها عرضة للاختراق من جميع الأصعدة، وخصوصا الجانب الفكري الذي يستطيع أن يصنع انسانا متذمرا يثور لأفه الأسباب.

ويبقى هذا الموضوع مفتوحا للدراسة والاثراء من خلال الندواة والملتقيات وحملات التحسيس، كونه يمثل جانبا حساسا ومهما لدى أي سلطة سياسية باعتباره مصدرا لتحصين المجتمع من مظاهر الغلو والتطرف الفكري الذي يشكل خطرا محدقا بأي مجتمع وأي سلطة.

المصادر والمراجع.

1- ابنالأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد الّ سلام تدمري، ط ،1بيروت: دار الكتاب العربي، 1417هـ/1997م.

2- ابن خلدون: العبر، دار الفكر بيروت، ط1، 1981م، ج4، ص41.

3- ابن عذارى المراكشي :البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1و ج4، تحقيق ومراجعة: إحسان عبّاس، دار الثقافة، ط3 بيروت، 1983م.

4- أبو الحسن الأشعري: مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح: هلموت ريتر، دار فرانزشتاير، فيسبادن، ألمانيا، ط3، 1980م.

5- البكري، أبو عبد الله: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، 1857م.

6- عبد الرحمن بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2004م.

7- القاضي النعمان :في افتتاح الدعوة، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، تونس، 1986م.

8- الناصري السلاوي: الاستقصاء، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج1، ص 158،

9- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 2000م.

10- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 2004م.

11- رجب محمد عبد الحليم: دولة بني صالح بتامسنا بالمغرب الأقصى (125هـ/455 هـ- 743م / 1063م)، دار الثقافة، القاهرة، د ت.

12- لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها وإلى غاية القرن الخامس هجري 11 م، الشركة الوكنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م

13- محمد علي القطب: الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ، ط2، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2022م.

14- محمود اسماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب الاسلامي حتى منتصف القرن الرابع هجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1985م.

15- مرمول محمد الصالح: السياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

16- ولد حماه الله ولد السالم: الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى – دراسة ومراجعات -، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2010 م.

الهوامش:

1- أبو الحسن الأشعري: مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح: هلموت ريتر، دار فرانزشتاير، فيسبادن، ألمانيا، ط3، 1980م، ص 125.

2- محمود اسماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب الاسلامي حتى منتصف القرن الرابع هجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1985م، ص 40.

3- نفسه: ص 43.

4- ابن عذارى المراكشي :البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، تحقيق ومراجعة: إحسان عبّاس، دار الثقافة، ط3 بيروت، 1983م، ص 53.

5- نفسه: ص 58.

6- القاضي النعمان :في افتتاح الدعوة، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، تونس، 1986م، ص 126.

7- محمد علي القطب: الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ، ط2، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2022م، ص20

8- لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها والى غاية القرن الخامس هجري 11 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 262.

9- عن سياسة هذا الوالي راجع: عبد الرحمن بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2004م، ص 242.

10- محمود اسماعيل: مرجع سابق، ص 61.

11- وقد وصف هذا الوالي بالظلم واستعماله للعنف والتعدي على الناس، الناصري السلاوي: الاستقصاء، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج1، ص 158، عبد الرحمن بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 242،

12- رجب محمد عبد الحليم: دولة بني صالح بتامسنا بالمغرب الأقصى (125هـ/455 هـ- 743م / 1063م)، دار الثقافة، القاهرة، د ت، ص 42.

13- نفسه: ص 46.

14- ابنالأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد الّ سلام تدمري، ط ،1بيروت: دار الكتاب العربي، 1417هـ/1997م، ج4ص.5

15- تفاصيل هذا الامر انظر: محمود اسماعيل: مرجع سابق، ص 67.

16 - المراكشي: المعجب، ص 259.

17 - ابن عذارى: البيان المغرب، ج4.

18 - محمود اسماعيل: مرجع سابق، ص 41.

19- ابن خلدون: العبر، دار الفكر بيروت، ط1، 1981م، ج4، ص41.

20- محمد علي قطب: مرجع سابق، ص 16.

21- محمود اسماعيل: مرجع سابق، ص 102.

22الناصري السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 178، 179.

23- رجب محمد عبد الحليم: مرجع سابق، ص 44.

24- نفسه: ص 52.

25- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والاندلس: ص 277-278

26- في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 2000م، ص 277-278

27 - وكانت لهاته القبيلة عادات سيئة مثل تربية الكلاب وفرم لحمها وهي من بين العادات التي تميز قبائل البافور حسب الرواية الموريتانية، انظر: حماه الله ولد السالم: الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى – دراسة ومراجعات –، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2010 م ص26.

28 - ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلسوالمغرب، ج4، تحقيق ومراجعة: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م، ص 12.

29 - البكري، أبو عبد الله: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، 1857م ، ص 162.

30 - نسبة إلى رجل يدعى علي بن عبد الله البجلي الذي نزل بلاد السوس ايام الخليفة عبيد الله المهدي بإفريقية، انظر: أحمد العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص 289.

31 - عن محنة المالكية والتنكيل الذي لحق بهم في زمن الدولة العبيدية راجع كتاب: مرمول محمد الصالح: السياسة الدّاخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، صص 141 150.

32- مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م، ص 129.

33- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 2004م، ص 71.